

البداية والنهاية

قلة المطر عم العراق والشام وديار مصر واستمر إلى سنة خمس وسبعين فجاء المطر ورخصت الأسعار ثم عقب ذلك وباء شديد وعم البلاد مرض آخر وهو السرسام مما ارتفع إلا في سنة ست وسبعين فمات بسبب ذلك خلق كثير وأمّا عددّهم إلا ٢٠ وفي رمضان منها وصلت خلعة الخليفة إلى الملك صلاح الدين وهو بدمشق وزيد في القابه معز أمير المؤمنين وخلع على أخيه توران شاه ولقب بمصطفى أمير المؤمنين وفيها جهز الناصر ابن أخيه فروخ شاه بن شاهنشاه بين يديه لقتال الفرنج الذين عاثوا في نواحي دمشق فنهبوا ما حولها وأمره أن يداريهم حتى يتوسطوا البلد ولا يقاتلهم حتى يقدم عليه فلما رأوه عاجلوه بالقتال فكسر لهم وقتل من ملوكهم صاحب الناصرة الهنفي وكان من أكابر ملوكهم وشجعوا لهم لا ينهنه اللقاء فكتبته ٢٠ في هذه الغزوة ثم ركب الناصر في أثر ابن أخيه مما وصل إلى الكسوة حتى تلقته الرؤس على الرماح والغنائم والأسرى وفيها بنت الفرنج قلعة عند بيت الأحزان للداوية فجعلوها مرصد لحرب المسلمين وقطع طريقهم ونقضت ملوكهم العهود التي كانت بينهم وبين صلاح الدين وأغاروا على نواحي البلدان من كل جانب ليشغلوا المسلمين عنهم وتفرقوا جيوشهم فلا تجتمع في بقعة واحدة فرتب السلطان ابن أخيه عمر على حماه ومعه ابن مقدم وسيف الدين علي بن أحمد المشطوب بن نواحي البقاع وغيرها وبتغّر حمه ابن عم ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه وبعث إلى أخيه الملك أبي بكر العادل نائبه بمصر أن يبعث إليه ألفا وخمسماة فارس يستعين بهم على قتال الفرنج وكتب إلى الفرنج يا مرهم بتخريب هذا الحصن الذي بنوه للداوية فامتنعوا إلا أن يبذل لهم ما غرموه عليه فبذل لهم ستين ألف دينار فلم يقبلوا ثم أوصلهم إلى مائة ألف دينار فقال له ابن أخيه تقي الدين عمر ابذل هذا إلى الجناد المسلمين وسر إلى هذا الحصن فخربه فأخذ بقوله في ذلك وخربه في السنة إلاتية كما سذكره وفيها أمر الخليفة المستضئ بكتابه لوح على قبر الإمام أحمد بن حنبل فيه آية الكرسي وبعدها هذا قبر تاج السنة وحبر الأمة العالي الهمة العالم العايد الفقيه الزاهد وذكروا تاريخ وفاته ٣٥٧ تعلى وفيها احتيط ببغداد على شاعر ينشد للروا فضل أشعارا في ثلب الصحابة وسبهم وتهجّين من يحبّهم فعقد له مجلس بأمر الخليفة ثم استنطق فإذا هو رافضي خبيث داعية إليه فأفتى الفقهاء بقطع لسانه ويديه فعل به ذلك ثم اختطفته العامة بما زالوا يرمونه بالاجر حتى ألقى نفسه في دجلة فاستخرجوه منها فقتلوا حتى مات فأخذوا شريطا وربطو في رجله وجروه على وجهه حتى طافوا به البلد وجميل الأسواق ثم ألقوه في بعض الآتونة مع الاجر والكلس وعجز الشرط عن تخلصه منهم

